المستعربون من علماء المشرقيات

جرى الاصطلاح عند المتأخرين من كتاب العرب ان يطلقوا اسم المستشرقين على من يعنون بالبحث في لغات الشرق وعلومه ، وأطلقوا اسم (الاستشراق) على عملهم هذا .

ولما كان الاستشراق واسع المدى متشعب المقاصد قضت الحال بان يقال لمن يعنون خاصة بدراسة مدنية العرب والاسلام (المستعربون) تمييزاً لهم عن سائر من يعنون بلغات الشرق وعلومه .

نشأ الاستشراق في الغرب بعامل ديني أولاً وانقلب بعد الى عامل مدني . وكان سبق أن بعض ملوك اوربا وباباواتها اخذوا العربية عن علماء الأندلس وصقلية وتعلم امراء الصليبيين وبعض قوادهم اللغة العربية في الشام أيام غزواتهم الطويلة .

ولما قام الباباوات بانشاء الرهبنات لبث الدعوة الدينية في الشرق بدا لهم ان يعلموا الرهبان لغاته ولا سيما العربية وبعض اللغات السامية كالعبرية والسريانية وهذا لتفهم العهد العتيق فقضى مجمع فينا سنة ١٣١١ م برئاسة البابا اكلمنتس الخامس ان تؤسس في باريز واكسفورد وبولون وسملنكة اي في عواصم العلم في فرنسا وايطاليا وانكلترا واسبانيا يومئذ دروس عربية وعبرانية وكلدانية وسريانية . وكانت المدرسة الطبية في مونبليه في فرنسا سبقت فأنشأت سنة ١٢٢٠ دروساً عربية ليتسنى لها تدريس الطب في كتب العرب وفي سنة ١٢٥٤ أنشئت أول مدرسة عربية في اشبيلية من أرض الأندلس .

وظل الاستشراق العربي في الغرب ضعيف الأثر الى القرن الثامن عشر وما قوي الا بقوة الاستعمار وفي غضون تلك الحقبة دخل في طور العلوم المنظمة ،

وقضت بعض الدول الغربية وفي مقدمتها بريطانيا العظمى على عمالها في بلاد العرب أن يتعلموا اللغة العربية فكان من تعلموها من أبنائها أكثر عدداً من غيرهم من الأمم لأن من طبع الانكليزي المتانة في الصناعات وما خرج الاستعمار عن كونه صناعة أيضاً واعداد المعدات لاتقانها ما أمكن . وأنشأت النمسا سنة ١٧٥٣ مدرسة لتعليم لغات الشرق يدرس فيها القناصل والتجار وحذت فرنسا حذوها فأنشأت مدرسة اللغات الشرقية لمثل هذا الغرض سنة ١٧٩٥ وشادت ألمانيا مثلها في برلين سنة ١٨٨٧ ثم تبعتها روسيا وايطاليا وانكلترا فأسست كل منها مدرسة لمثل هذا الغرض .

وكانت جامعات ألمانيا تدرس العربية منذ أكثر من ثلثمائة سنة وكذلك بعض جامعات بولونيا وبريطانيا العظمى . وهكذا بدأ الاستعراب في الغرب ونبغ مئات من بنيه في العربية وآدابها كانوا من العوامل الكبرى في النهضة العربية الأخيرة بما أحيوا من كتب العرب القديمة وخدموها أجل خدمة بمعارضتها على النسخ المتعددة بوضع الفهارس المنوعة لها ليسهل الانتفاع بها بسرعة ومنهم تعلمنا هذه الطريقة واعتادوا ان يشرحوا غوامضها بلغة الناشر او باللغة اللاتينية لغة العلم المعتمد عليها الى عهد قريب فانتفعوا بما نشروا ونفعوا بما حوت من معارف كانت مجهولة بل بهم تجلت مدنية العرب لأول مرة لأنهم طبعوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر في ايطاليا وهولاندة كتباً عظيمة من كتبنا كانت حجر الأساس في انبعاث العربية من رقدتها الطويلة ويكفي أن نقول ان اوربا طبعت كتبنا بالحروف العربية قبل أن تدخل الطباعة الى القسطنطينية والقاهرة بمائتي سنة ومن تصفح معلمة الاسلام (Encyclopédie de l'Islam) التي أصدرتها أوائل هذا القرن مطبعة ليدن الهولندية بلغات العلم الثلاث (الانكليزية والألمانية والفرنسية) يتضح له مبلغ عناية الغربيين بالمشرقيات العربية ويتجلى لعينيه ما وصلوا اليه ببحثهم واخصائهم في اللغات والعلوم . هذا الى

مئات من كتب أجدادنا نشروها وما قطعت اطراد صدورها الا الحرب الأخيرة .

ولقد أسعدني الحظ منذ نشأت أن تعرفت في مصر والشام وفي أوربا الى بعض المستعربين من أمم اوربا واختلطت بهم وخالطتهم ووقفت على أساليبهم في البحث والدرس والتأليف والنشر وعاونوني في بلادهم على درس المدنية الغربية وعلى الكشف عما في خزائنهم ومتاحفهم من كتب العرب وآثارهم فعلى من ماتوا الرحمة وعلى الأحياء منهم السلام .

حداني على معالجة هذا الموضوع وعلى الاشادة بمن لقيتهم من المستعربين حديث وقع لي منذ سنين مع الأستاذ حافظ عامر بك من رجال السلك السياسي المصري وطلب الي لما تقوض المجلس ان أكتب نبذة فيمن عرفت من المستعربين فاعتذرت بأن المواد التي لدي عنهم لا يتألف منها مبحث فقال رحمه الله يكفي أن تدون ما على خاطرك منه فطلاب الفوائد يستفيدون منه على كل حال .

وبعد فلا بد لي قبل ان أشرع في الكلام على من عرفت ممن بعنينا أمرهم ان أشير الى ان أكثرهم جعلوا علمهم لخدمة دولهم وأممهم يخدمونها في سياستها بما تصل اليه أيديهم ويهديهم اليه اطلاعهم ، ومن خرج قليلاً عن قواعد وطنية شعبه نبذته دولته فلا يتوقعن اذاً من مستشرق ان يخدم غير أمته ولهم المعذرة في ذلك . اما نحن معاشر العرب فيقنعنا منهم ان يخدموا آدابنا بامانة لا يتخذونها سلماً الى الطعن بنا وبمقدساتنا ولا ذريعة الى اغتصاب حقوقنا في الحياة على نحو ما فعل لامنس البلجيكي ومرجوليوث الانكليزي وكراتشقوفسكي الروسي وهارتمان الألماني وكايتاني الايطالي مع اختلاف بينهم في مقدار الطعن والداعي الذي ساق اليه . والأب لامنس سامحه الله كان أكثرهم تعصباً علينا لأن حياته على ما يظهر كانت متوقفة على هذه المطاعن حتى لقد سماه علماء الافرنج المؤلف المتحزب (L'historien partial) .

أول من عرفت من هؤلاء المستشرقين المستعربين من الفرنسيين هوسو وماسينيون

وكي وملزاك . جاء الأول الى الديار الشامية يكشف عن آثار بلاد النصيرية (العلويين) وجبل الدروز والصفا واللجاة وقد ألف بضعة كتب في لغته بآثار هذه الأقاليم الشامية وعرض لتاريخها ووصف آثارها وظل يخدم هذا العلم باخلاص ، ومقامه عظيم بين علماء الآثار وأمناء متحف اللوفر في باريز وأصدر مجلة سيريا (Syria) ملأها بتحقيقاته وكان خير صلة بين بلاده وبلادنا لأنه لم يتدخل في شيء اسمه سياسة ، صرف جل اهتمامه لعلمه ولم يخلط فيه غيره . ومن أهم ما كتب (طوبوغرافية سورية في القرون الوسطى) و (العرب قبل الاسلام) وهو فيما أعلم لم يكتب بالعربية بل أخذ من نصوصها واستعملها في تآليفه .

أما المستعرب الثاني الأستاذ ماسينيون فانه انقطع الى الأبحاث الاسلامية منذ نشأته وقال لي ان العلامة السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي رحمه الله كان له أعظم الفضل عليه بارجاعه من الالحاد الى حظيرة الدين . وأنا أقول بل زاد على ذلك وأصبح متصوفاً وأذكر اني دعوته في احدى رحلاتي الى باريز لنشهد التمثيل ونتعشى معاً فقال العشاء أمره سهل ولكن مَنْ للمتصوف أن يشهد التمثيل . وهو صادق في قوله فانه صرف جانباً عظيماً من عمره في نشر كتب التصوف فنشر تآليف الحلاج وأخباره وديوانه بالعربية كما نشر الأمثال البغدادية للطالقاني وتاريخ الاصطلاحات الفلسفية . ومعظم المقالات التي لها علاقة بالتصوف الاسلامي في معلمة الاسلام على عهدها الأخير هي من قلمه وهو لعهدنا المرجع بين المستعربين في مسائل التصوف في الغرب ، اذا عزّ على أحد المشتغلين كشف غامض وحل مسألة صوفية فليس له الا باب ماسينيون لأخذ الجواب . وهو اليوم عضو في عدة مجامع منها مجمع فؤاد الأول للغة العربية والمجمع العلمي العربي والجمعية الآسياوية وهو أستاذ في كوليج دي فرانس وكتب مئات من الأبحاث والمقالات في المجلات الاسلامية والشرقية بالفرنسية ومنها المجلة الآسياوية ومجلة العلم الاسلامي ومجلة الدروس الاسلامية وهو يعاون طلاب العرب في باريز ويوجههم ويرشدهم .

أما الاستاذان كي ومازاك فشغلا بمهام السياسة وأخذ وقتهما ما همّا بسبيله من مصالح دولتهما وطافا معظم بلاد العرب والفرس في السلك القنصلي وانتفعا بمعرفة العربية والفارسية في الوظائف التي شغلاها وهيأت لهما سبيل الانتفاع في عملهما ومعرفة هذا الشرق القريب . ويليهما أستاذان متقدمان على هذين القنصلين في العمر وهما السيدان اوتافي وبيات فانهما كانا يجيدان العربية ويكتبانها كتابة سلسة صحيحة وقد توليا شؤون دولتهما السياسية والسيد اوتافي كان استاذه في العربية السيد برغش امير زنجبار وكان قضى فيها أعواماً طويلة قنصلاً لفرنسا وكلاهما كان معجباً بالمدنية الاسلامية يصرحان بذلك أمام الموافق والمخالف وهما آية في معرفة تاريخ العرب معرفة ثاقبة ويعرفان الأقطار العربية كما يعرفها أهلها ، ولا أعرف ان كان اتسع لهما الوقت فألفا في العربية أو الفرنسية أو نشرا بعض كتبها العلمية والادبية .

وعرفت السيد هوار مدرس العربية بمدرسة اللغات الشرقية في باريز وناشر كتاب البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر ومقامات ابن ناقيا وديوان سلامة بن جندل وغير ذلك وله تاريخ العرب بالفرنسية وعدة مقالات في معلمة الاسلام ومعلوماته مثل معلومات غودفروا ديومبين ليست واسعة كثيراً او ليس فيها شيء جديد ولا يعد كصاحبه من اللامعين المبرزين كما كان مثلهما بل كان هذا أقل بضاعة منهما السيد شاتيليه صاحب مجلة العالم الاسلامي الفرنسية وأستاذ علم الاجتماع الاسلامي في كوليج دي فرانس ، وعرفت المستعرب مرسيه ناشر كتاب حلية الفرسان وعرفت آمار ناشر مقدمة الوافي بالوفيات وله مقالات كثيرة في مجلات المشرقيات كما صحبت المسيو فران أحد مستعربيهم وناشر كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد لابن ماجد الملاح البصري وهو من المعجبين بمدنية العرب خدمها في نطاق اختصاصه وكان يجهر بذلك في خطبه وكتاباته .

ومن المستعربين الفرنسيين الذين عرفتهم ليفي بروفنسال وقد امتاز بأبحاثه في

الأندلس ونشر عدة كتب مهمة في تاريخها بلغته وهو الذي أعد الذخيرة لابن بسام للنشر وتنشرها الآن جامعة فؤاد الأول وهو المرجع الأول في الغرب بتاريخ الأندلس وما يتعلق به وقد تمم في معلمة الاسلام ما كان يعالجه من مقالات بلاد الاندلس ورجالها المستعرب الالماني سيبولد ·

ومن عرفتهم من أبناء هذه الأمة السيد بلاشير المتخصص في شعر المتنبي والسيد بريز العالم بالأندلسيات والصدر المتقدم في البلاغة العربية وصاحب الجولات الموفقة في آدابها وحضارتها ·

ومن أهم رجال الاستعراب من الفرنسيس السيد مارسيه وهو يكتب العربية ويتكلمها كما يتكلمها أدباؤها أنفسهم ويكتبونها ويعد من مستعربي الدرجة الأولى من الأوربيين وقد نشر عدة أبحاث دلت على علو كعبه في العربية وآدابها واستفاد منه كثير من أدباء تونس ممن تخرجوا به كما استفاد طلاب الاستعراب من أبناء أمته · وعرفت أستاذاً مستعرباً صرف معظم حياته في مراكش وهو السيد ميشو بلالير عاش عيشة المراكشيين وتزوج فيهم وله مقالات في مجلات المستشرقين · كما نشأت لي صداقة مع السيد بوفا وقد نشر أشياء كثيرة بالعربية وأكثر من ذلك بالفرنسية مأخوذاً من المصادر العربية وله أبحاث كثيرة لم تشتهر لأنها قليلة الجرم وان كانت عظيمة الفائدة · ويلحق بالفرنسيين السيد مونتيه السويسري أستاذ العربية في جامعة جنيف وهو الذي نقل القرآن الكريم الى الفرنسية وله أبحاث جليلة في الاسلام ومحاضرات وقد ألف كتاب (الاسلام) قلت فيه ان ما ينشره الأستاذ مونتيه الحين بعد الآخر في الاسلام يليق بعالم القرن العشرين لأنه يكتب وقد نزع منه التقاليد القديمة والتعصب الذي يتلبس به طوعاً او كرهاً من نشأوا في الغرب ولم يخالطوا أهل الاسلام ولا درسوا أصوله وقواعده وتاريخه الا دراسة متقزز متحرز ومما قاله في الرسول في هذا الكتاب : انه كثيراً ما حكمت عليه الأحكام القاسية ذلك لأنه ندر مثله في المصلحين

من عرفت حياتهم بالتفصيل وان ما قام به لاصلاح الأخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للانسانية . وقال ان الاسلام يسير سيراً حسناً في نشوئه خلافاً لما يدعيه بعضهم وان الواجب على المسلمين ان يحتفظوا لقيام أمرهم بما حظرته الشريعة عليهم من تعاطي المسكرات .

هؤلاء معظم من عرفت من الفرنسيس أما الانكليز والأميركان فعرفت بضعة منهم من العيار العالي فمن أوائلهم كرنيليوس فانديك وابنه ادوار فانديك فإن كرنيليوس خدم لغتنا ونشر العلم في ربوعنا بما كتب بالعربية من أصناف العلوم كالطب والطبيعة والجغرافيا وقد أخلص في خدمة العرب حتى إنه استقال من التدريس في الجامعة الأميركية في بيروت لما أرادت عمدة الجامعة ان تنقل التعليم من العربية الى الانكليزية قائلاً اننا جئنا هذه الديار لنخدمها بلغتها لا بلغتنا . وتآليفه على قدمها ما زالت متداولة يستفاد منها وكذلك ابنه ادوارد ألف في علم الكتب العربية كتاباً جيداً وله غيره ودرس الانكليزية في المدارس المصرية زمناً . ومن أعظم المستعربين من الانكليز صديقي العلامة براون أستاذ العربية في جامعة كمبريدج فانه نشر كتباً بالعربية وله بالانكليزية تاريخ آداب اللغة الفارسية وهو من أمتع ما كتب في موضوعه على ما قال لي من قرأه بلغته من أحبابي ومن رأيه فيه خطاباً لمن بهرتهم الآداب الفارسية : ان قصيدة واحدة من المعلقات السبع خير مما قاله شعراء الفرس . وكان في الحقيقة المدافع عن مدنية الفرس والعرب والمحامي المتطوع في خدمة قضية العرب والفرس في الغرب ، أخذ كثيراً عن الأستاذ الامام محمد عبده وله أياد بيض على العرب وهو ممن امتازوا بمعرفة الاسلام معرفة ثاقبة ، وتعمق فيه وحنا عليه وعلى أهله مثل رصيفه صديقي العلامة ارنولد مدرس العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن وناشر كتاب المنية والأمل للمرتضى في ذكر المعتزلة وهو امام في الأبحاث الاسلامية لم تعد عليه هفوة واحدة في كل ما كتبه ولا سيما في معلمة الاسلام وكنا في

مصر نتكلم بالعربية وهو في سن الشباب فلما عدنا واجتمعنا في انكلترا تعذر عليه النطق بالعربية وآثر ان نتكلم بالفرنسية ومنهم الأستاذ بفن مدرس العربية في جامعة كمبريدج وناشر مناقضات جرير والفرزدق في بضعة مجلدات كبيرة وفيها من التحقيق اللغوي ما يدهش شهدت له بتبحره في أدب هذا اللسان وقوة ملكته في النقد حتى أذكر اني ذكرت له اعجابي بوستنفيلد ناشر معجم البلدان لياقوت وعشرات غيره من كتب العربية فقال لي ان التحقيق يعزّ في الكتب التي نشرها وأخرج لي جزءاً من هذا المعجم صحح فيه أماكن كثيرة في كل صفحة فاضطررت الى الاعتراف بخطأي ٠

ومن مستعربي البريطانيين الأستاذ مرجليوث أستاذ العربية في جامعة اكسفورد وكان يكتب العربية كتابة سلسة تقل فيها التراكيب التي تشعر بعجمته وقد نشر من كتب سلفنا الصالح معجم الأدباء لياقوت في بضعة مجلدات والأنساب للسمعاني ونشوار المحاضرة للتنوخي وديوان التعاويذي ورسائل المعري وغير ذلك وكان مقدماً في موضوعه ، وسبب اشتهاره بين أبناء صناعته انه تكلم في الاسلام بما لا يقره عليه العارفون فحظي عند العامة ونزلت منزلته عند الخاصة ٠ وخليفته في اكسفورد اليوم الأستاذ جيب وهو رصيفي في مجمع فؤاد الأول للغة العربية والمجمع العلمي العربي يكتب العربية مثلنا وقد كتب اشياء كثيرة في الاسلام بلغته وهو يعد كتباً عربية أصلية لنشرها بلغتها التي كتبت بها ٠

ومن المستعربين الاميركان المستر وطسون رئيس الجامعة الاميركية في القاهرة وله تلاميذ كثيرون وأصدقاء غير قليلين في مصر كتب اليّ يوم ١٩ ديسمبر ١٩٢٤ وكانت الجامعة الأميركية في محنة اذ كثر التقول عليها في مصر ورموها بأنها جامعة تبشير لا جامعة علم وكنت متعاقداً معها على القاء محاضرات وأردت ان ارجع عن تعاقدي فأبيت الا القاءها ، قال : لعل اتصالكم بزملائي اعضاء مجلس ادارة الجامعة قد أطلعكم على رغبتنا الشديدة في خدمة مصر والعالم العربي

ما وسعنا ذلك وانا لنعد معهدنا جسر صداقة بين العالم العربي والعالم الغربي يشاد على الرغبة الخالصة في أداء الخدمات المتبادلة بين العالمين فلئن كان في الغرب ما يستفيد منه الشرق فان في الشرق ما هو خليق ان ينتفع به الغرب • ولا ريب في أنكم تبينتم من أناقة بناء قاعتنا الكبرى والصغرى مبلغ عنايتنا وتقديرنا للفن العربي الجميل وفضلاً عن هذه الخدمات بين الشرق والغرب فان مهمتنا الكبرى هي العمل على حسن التفاهم بين هذين العالمين فهنالك من الأسباب ما دعا الى الكراهية والنفور بينهما والصلة التي تجتمع عندها الشعوب والجماعات بحكم الثقافات هي المحبة والوئام •

ومن مستعربي الأميركان السيد الجليل دودج رئيس الجامعة الاميركية في بيروت فانه ووالده من قبله قد أسديا الى الأمة العربية يداً لا تنسى على ممر السنين وتخرج على يديه وفي جامعته مئات من أبنائنا من المصريين والشاميين والعراقيين ولم تبق الأمور الادارية للسيد دودج وقتاً يصرفه في الأبحاث التي غلبت عليه وهو آية في فعل الخير عرف بها زمن الحرب العالمية الأولى فأنفق كل ما عنده على الفقراء ثم باع ما أمكنه بيعه ورهن أملاك جامعته وأخذ الفضل من ذلك فصرفه على اطعام الجياع وهذا عمل فريد قل ان عمل مثله رجل من رجال الدين ، فهو كوظمون قسيس راق خدم دينه وأمته وخدم الانسانية •

ويلحق بمستعربي الانكلوسكسونيين مستعرب آخر عنيت به صديقي العلامة كرينكو ولد في قرية من قرى شمالي المانيا وأتقن في المدارس الثانوية اللغات الألمانية والانكليزية والفرنسية واللاتينية واليونانية ثم درس الاردية والفارسية وسكن في انكلترا وتجنس بالجنسية الانكليزية وتزوج سيدة انكليزية وكان له في الحرب الماضية معمل لصنع الأقمشة في لستر يشتغل فيه أكثر من الف عامل وعاملة فلما نزلت الأسعار عقبى الهدنة وكان فقد ابنه الوحيد في الحرب اثر ذلك في صحته وحمل الى المستشفى ولما خرج منه كان افلس من ابن المزلق

فجاءه كتاب من الهند يطلب منه بعض أصدقائه في حيدر آباد الدكن ان ينسخ لهم ما يشاء من كتب العرب المحفوظة في المتحف البريطاني مقابل ثلاثمائة جنيه في السنة ، قال فأنا الآن أعيش بفضل لغتكم . درس كرينكو العربية بدون معلم على الكبر وهو يكتبها كتابة صحيحة الا انه يجد صعوبة في التخاطب بها لقلة من لقيهم من أبناء العرب . كتب لي مرة : وأنت تعلم اني تعلمت اللغة العربية والفارسية والهندية بلا معلم لبعدي في شبيبتي عمن يعلم شيئاً من هذه اللغات فاعتمدت على الكتب فقط الى ان ورد صديقنا كاظم الدجيلي (الى بريطانيا) ومنه سمعت أول كلمة عربية ثم سألني صديقي عماد الملك وزير سمو النظام سلطان حيدرآباد أن أعاون دائرة المعارف التي أنشأها هو في عاصمة حيدر آباد لاحياء العلوم العربية في الهند مخافة خمولها فأول كتاب هذبته كان جمهرة اللغة لابن دريد في ثلاث مجلدات مع فهرسته في مجلد ضخم ...

يحسن العلامة كرينكو لغات اوربا بأسرها ويتكلم بها بسهولة ويعرف من لغات الشرق العربية والفارسية والاردية ومن لغات الشرق القديمة طرفاً من الحميرية والتركية والعبرية والارامية وهو شاعر بالألمانية لغته الأصلية . وما كان يفارق المطالعة طول حياته وما منعه معمله عن الانصراف الى التأليف أوقات الفراغ وقلت له في اكسفورد ، وانا أدهش من كتاب ضخم لابن قتيبة في الشعر أرانيه وقد صححه وعلق عليه حواشي مفيدة ، ومتى أنجزت كل ذلك ياسيدي وأنت رجل صناعة فقال كنت في بعض أيام الآحاد أترك امرأتي تتنزه وحدها وألزم البيت فأكتب وأصحح وأعلق واذا نجوت ساعات قليلة في اليوم من حسابات المصنع انقلبت نحو دفاتري وكتبي .

وقد نشر السيد كرينكو عشرات من الكتب والرسائل والمقالات بالعربية والألمانية والانكليزية ما لو نشر بعضه مجمع علمي في ثلاثين سنة لعد ذلك من مفاخره فيما نشر شعر ابي دهبل الجمحي وقصيدتان لمزاحم العقيلي وطبقات النحاة

لأبي بكر الزبيدي وديوان عمرو بن كلثوم التغلبي والمجتبي لأبي بكر بن دريد ابن عبد العزيز العجلي والحارث بن حلزة اليشكري وديوان طفيل الغنوي وكتاب الجمهرة (الذي تقدم ذكره) وتنقيح المناظر لكمال الدين الشيرازي وكتاب التيجان في تواريخ ملوك حمير لعبد الملك بن هشام وفي ذيله ما بقي من رواية عبيد بن شرية والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني (مع الفهارس التي أبى الطابع نشرها اقتصاداً) وهو في اربع مجلدات والجماهر في معرفة الجواهر لأبي الريحان البيروني والمنتظم لابن الجوزي (اربع مجلدات) والمؤتلف والمختلف للآمدي ومعجم الشعراء للمرزباني ومعاني الشعر الكبير لابن قتيبة وأخبار النحويين البصريين للسيرافي و كتاب الأفعال لابن القطاع وتفسير ثلاثين سورة لابن خالويه وكتاب الجرح والتعديل لابن ابي حاتم وهو اليوم يعد كتباً للطبع من تراث العرب العظيم فله المنة علينا باحياء هذه المجموعة العظيمة من كتب أسلافنا .

أحب الأستاذ كرينكو العرب والاسلام محبة لا ترجى الا من العريق فيهما ، يتعصب للعرب على سائر أمم الاسلام من الفرس والترك والهند ويعتقد (كما كتب لي في ٢٣ آذار سنة ١٩٣٥) ان زوال الدولة العربية اعني خلافة بني أمية وانتقال مركز الاسلام من دمشق الى العراق وظهور الفرس على العرب كان أول سبب في الحيلولة دون انتشار الاسلام في الأمم النازلة في الشمال الغربي أي في اوربا وان الدولة العباسية قام بنيانها على دمن الدولة الأموية وان دخول الفرس في المناصب العاليه أدخل الغش والخيانة في الأعمال المالية وما كان الخلفاء الا ما ندر يفكرون في شيء من أعمال الشام ومصر (ولا أذكر ما وراءهما من البلاد مثل افريقية والمغرب والأندلس) اللهم الا ما كان من نقل أموال الخراج الى العراق لشراء الجواري والجواهر واعطاء الجوائز للمغنين والشعراء ومن ماثلهم . ولو تدبرت مثلاً أولاد الخلفاء لرأيت ان جميع خلفاء بني أمية سوى

مروان بن محمد آخر ملوكهم كانوا ابناء حرائر وبالعكس كان خلفاء بني العباس فان إكثرهم كانوا أولاد جوار مجلوبة من غير بلاد اسلامية • وآفة ثانية وهي جلب الغلمان الأتراك الى بغداد ليجعلوا منهم عمداً للدولة فأصبحوا أرباب الخلفاء أنفسهم في أقل من قرن • وآفة ثالثة وهي ما كان من الحروب التي نشأت بين أهل السنة والشيعة وظلت متصلة الى زماننا هذا • وقد شاهدت ما غمني في بلاد الهند وهنا في انكلترا عندما عيدنا عيد الفطر فامتنع بعض المتشيعين عن الصلاة خلف امام سني المذهب • وكل هذا مما يهين اهل الاسلام في عيون الذين لا يعتقدونه • ويضاف الى كل هذه الآفات وهو أعظمها في خمول الأمم الاسلامية استنجاد السلاطين والأمراء في حروبهم بالأمم النصرانية من مجاوريهم ، وأول من ارتكب هذا الاثم خلفاء العبيديين في مصر عند استيلاء الصليبيين على الشام • قال ولو كتبت الأسبوع كله لما أتيت على آخر براهيني • ورأى ان على أبناء العرب اليوم ان يتحدوا في منازعهم وينزلوا عن الجدال في تحصيل الحرية الشاملة ويطبعوا في قلوبهم المثل الانكليزي : ان ارحاء الله تعالى اذا طحنت ببطء فهي تطحن الجيد •

وبعد فان من المتعذر الآن ان نلم بسيرة هذا المستعرب من عامة أطرافها فهو الى أعماله العلمية العظيمة داعية متطوع في خدمة الاسلام الصحيح والحضارة العربية • هداه البحث الى أمور نحن أبناء هذه الحضارة كنا غافلين عنها فقد رد مثلاً على من زعم أنه توجد نسخ من المصحف الشريف بخط الأئمة علي ابن ابي طالب والحسن والحسين وهي مما يكثر بين الشيعة وقال لو فرضنا انهم كتبوها فانهم لم يكتبوها بالخط الكوفي بل بالخط المكي القديم الذي هو الخط المعتاد الآن • وفي رأيه ان الخط الكوفي من اختراع مسلمة النصارى من الشاميين • وكتب لي مرة انه لا يعتمد على مؤرخي الفرس لأنهم يخلطون ويخبطون خبط عشواء • حدثني صديقي الأستاذ خليل مردم بك أنه كان يسمر

عند الأستاذ كرينكو فكان في جملة ما تحدث به في تلك الليلة أمام زوجته سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وما كان من أمره مع النساء وما عاملهن به وما منحهن الاسلام من الحقوق مما لم تعط مثله أمة قبل العرب وبحث في علاقة رسول الله مع أزواجه ولا سيما مع عائشة ام المؤمنين . قال وما زال يتدرج في حواره حتى ذكر كيف خرجت روح الرسول الطاهرة وهو على حجر عائشة . فلما سمعت امرأته هذا الكلام شهقت بالبكاء وخرجت من الغرفة . فقال الأستاذ كرينكو اني أتعمد اسماعها مثل هذه الأخبار لأنها ليست محيطة بكل ما في الاسلام من محاسن .

والأستاذ ليس له ارتباط بجامعة ولا بجمعية وكل ما فرح به ان اختاره المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً فأكبر هذا التنويه به وعدّه فخراً له . كما كان من أكثر من اختارهم هذا المجمع أعضاء مراسلين له فانهم أظهروا في كل فرصة تفاخرهم بانضمامهم الينا وعدونا وعددناهم كأننا أبناء اسرة واحدة .

ومن مستعربي الاستراليين الأستاذ جفري نشر كتاب المصاحف للسجستاني وهو معروف في مصر كان يدرس في الجامعة الأميركية بالقاهرة . ومن اكبر المستعربين من الطليان الأمير كايتاني فانه تفضل في سنة ١٩١٣ وقبلني في قصره في رومية أبحث في المصورات التي صورها عن المخطوطات العربية في تاريخ الاسلام ولقد قضيت في هذه المهمة ثلاثين يوماً رأيت منه عطفاً كبيراً واطلاعاً واسعاً وانقلبت من لدنه بمذكرات ثمينة استعنت بها على تأليف كتابي (خطط الشام) وهو يحسن سبع لغات ومنها العربية والفارسية وقد وضع بالايطالية كتابه تاريخ الاسلام (آنالي دا لاسلام) العظيم طبع منه بالايطالية ستة مجلدات ضخمة وكان يرجو ان يفسح الله في أجله ليكمل القرن الأول للاسلام فقط في خمسة وعشرين مجلداً وما كان يطبع من تاريخه اكثر من مئتين وخمسين نسخة وقد جعل شعاره في كتبه قول الشاعر العربي :

كفاف عيش كفاني ذلّ مسألة وخدمة العلم حتى ينقضي عمري

يقول هذا وثروته قبل الحرب العالمية الأولى كانت تقدر بخمسة ملايين جنيه ايطالي ذهبي عدا ثروة الأميرة زوجته ، كان ينفق منها على العلم فقط كل سنة عشرة آلاف جنيه انكليزي ، ونشر كتاب تجارب الأمم لمسكويه وكان يعد للنشر تراجم ثلاثين الف عالم وأديب من المسلمين في الأندلس وهي جذاذات جمعها طول حياته المستشرق الاسباني ريبرا . ومن كبار مستعربيهم السنيور جويدي وهو معروف في مصر وكان أستاذاً في الجامعة القديمة وحاضر في أدب الجغرافيا والتاريخ فأجاد من وراء الغاية وله كتب عظيمة في اللغات السامية ولا سيا الحبشية والامحرية وكان يعد من مستشرقي الطبقة الأولى في العرب كتب اليّ مرة :

وان كان شاعركم العربي قال :

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الأربعين

فأنا جاوزت حد الثمانين ومازلت أكتب وأؤلف وكان لما كتب هذا في الرابعة والثمانين . نشر جويدي من كتبنا شرح بانت سعاد لابن هشام وكتاب الأفعال لابن قوطية والاستدراك لأبي بكر الزبيدي وكتاب مهدي الموحدين محمد بن تومرت وديوان الحطيئة جرول بن اوس ومعاني النفس ومقالة في اسماء الله الحسنى لكاتب امرائيلي قديم وغير ذلك عدا المقالات بالايطالية وغيرها من لغات الغرب . وابنه ميكل انجلو مستعرب مثل أبيه وكان يدرس في جامعة فؤاد الأول قبل الحرب الأخيرة . وممن عرفه العلماء والأدباء في مصر الأستاذ غريفيني ناشر فقه زيد بن علي وديوان الأخطل والطبقات لأبي بكر الزبيدي ولمع القوانين المضيئة في دواوين الديار المصرية لعثمان بن ابراهيم النابلسي الى غير ذلك من النصوص العربية ومنها قصائد لبعض شعراء الجاهلية .

ومن الايطاليين الممتازين بين المستعربين صديقي العلامة نللينو عضو مجمع فؤاد الأول والمجمع العلمي العربي ومدير المعلمة الايطالية (دائرة المعارف

والموسوعات) وصاحب المقالات الممتعة في معلمة الاسلام الى غير ذلك من التآليف ومنها تاريخ علم الفلك عند العرب القاها محاضرات على تلاميذ الجامعة القديمة بالقاهرة وقد نشر كثيراً من كتب العرب منها زيج البتاني في الفلك والبيان لابن رشد وكان يكتب ويخطب بالعربية ثم انقطع عن معاناة العربية مدة فصار يسهل عليه ان يكتب بالفرنسية وصعبت عليه الكتابة بالعربية وكان يحب الشرق وأهله وقد امتاز بمعرفة بلاد شمالي افريقية وجغرافيتها وآثارها وتاريخها ويعد من أعظم علماء المشرقيات عامة .

وعرفت من مستعربي الألمان والهولنديين والتشكيين والدانيمركيين والسويديين والاسبانيين والبولونيين والمجريين جملة صالحة فمن الألمان هرزفلد مكتشف آثار السامانيين وآثار سر من رأى ومنهم هوروفيتس ناشر الهاشميات للكميت درس العربية سنين طويلة في جامعة اليغار في الهند وكثير من رجال القضاء وحملة العلم من الهنود هم من تلامذته ومنهم ريتر ناشر كتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للأشعري والوافي بالوفيات للصفدي ومنهم برتزل نشر طبقات القراء لابن الجزري مع برجسترازر . ونشر برتزل التيسير في القراآت العشر لأبي عمرو الداني والمقنع في رسم مصاحف الأمصار من كتاب النقط له أيضاً . ونشر الدكتور مايرهوف مقالات في العين لحنين بن اسحق . ومن أعظم من عرفتهم من مستعربي الألمان العلامة بروكلمان صاحب تاريخ آداب اللغة العربية بالألمانية وهو ناشر كتاب تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار لابن الجوزي وعيون الأخبار لابن قتيبة وديوان لبيد وكتاب ما تلحن فيه العوام للكسائي . وعرفت من الألمان هوميل وميتفوخ وهارتمان والأستاذ هوميل من أعظم المستعربين في الغرب وقد أثبت ان حمورابي صاحب القانون كان عربياً . ورأيت هوميل في مونيخ وهو في الخامسة والستين يدرس لغة الجغطاي من لغات الترك القديمة وقد توفر على درس ديوان ابن قيس الرقيات سنين يأمل أن يجد فيه

اسماء بعض الألبسة عند العرب وبعد البحث الطويل ظفر بلفظين اثنين فاغتبط بهذا الاكتشاف . ومن المجريين غولد صهير نشر فضائح الباطنية للغزالي وكتاب المعمرين للسجستاني وغير ذلك وكان يعد من أكبر رجال المشرقيات في الغرب كتب مئات من الأبحاث الاسلامية بالمجرية والألمانية والفرنسية والانكليزية والروسية والسويدية والخرواتية الصربية والعربية وكان يتكلم العربية ويكتبها جيداً درسها في الأزهر . ومن الهولنديين سنوك هرغروني واراندونك وهوتسما وهذا نشر زبدة النصرة للعماد الاصفهاني وتاريخ اليعقوبي والأضداد لابن الأنباري وغيره من كتب العرب وكان مدير تأليف معلمة الاسلام وقال لي مرة ترى أعيش وأشهد هذه المعلمة قد تمت وظهرت للناس فمتعه الله بالحياة ورآها تامة كما أحب .

ومن الاسبانيين الأب آسين بالاسيوس مدرس العربية في جامعة مجريط كتب مؤلفاً ضخماً بالاسبانية أثبت فيه ان دانتي شاعر الطليان أخذ قصة المهزلة الإلهية من رسالة الغفران للمعري . ونشر آسين بالاسيوس من كتب العرب المدخل لصناعة المنطق لابن طلموس وغيره .

ومن السويديين سترستين من جامعة اوبسالا نشر تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس وأمرائها لابراهيم مغلطاي وقطعة من تهذيب اللغة للأزهري ومنهم بدرسن الدانيمركي وسموغرجفسكي البولوني ومنهم موزل التشكي وقد قضى سنين مع قبيلة الرولا في بادية الشام رسم خلالها أحسن المصورات الجغرافية وكتب كتباً عظيمة عن اكتشافاته وكان يدعى الشيخ موسى الرويلي ورأيته في الحرب العالمية الأولى يتقلد رتبة جنرال ويصحب بعض أمراء ملوك النمسا في رحلة الى الشرق القريب .

هذا ما وعته الذاكرة ممن اجتمعت بهم وعرفتهم عن أمم وذلك بالاختلاط بهم وبقراءة كتبهم وأبحاثهم وربما فاتني ذكر بعضهم وليس المقصود استقصاء اسمائهم كلهم بل الغاية التنويه ببعض أعمالهم ورسم الخطط لمن يحب العلم للجري على آثارهم .

محمد كرد علي